قصّة إسلام أبي ذرّ رضي الله عنه

دروس وعبر

إعداد الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٦هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذه قصّة إسلام الصحابي الجليل جندب بن جنادة الغفاري ﷺ ، نُبْحِر بين سطورها ، نستَنْبط منها الفوائد ،ونلْتمِس منها الفرائد.

وخطة الكتاب : ذكر الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، ولم استوعب جميع فوائد الحديث . وقد يكون للحديث عدة روايات، فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بواحدة .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

Ebrahim .F .W@Gmail.com

قصّـة إسلام أبي ذرّ ﷺ

عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبو ذر ﷺ : " خرجنا من قومنا غفار ، وكانوا يُحِلّون الشهر الحرام ، فخرجت أنا وأخي أنيس ، وأُمَّنا[1] فنزلنا على خال لنا ، فأكرمنا خالنا ، وأحسن إلينا فحسدنا قومه ، فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس ؛ فجاء خالنا فنثا علينا[2] الذي قيل له ، فقلت : أمّا ما مضى من معروفك ؛ فقد كدّرته ، ولا جماع لك فيما بعد ، فقرّبنا صِرْمَتَنَا[3] فاحتملنا عليها ، وتغطّى خالنا ثوبه فجعل يبكي ، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة ، فنافر أنيس عن صِرْمتنا ، وعن مثلها ، فأتيا الكاهن فخيّر أنيساً ، فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها . قال :وقد صليتُ يابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين . قلت : لمن ؟ قال لله ! قلت :فأين توجّه؟ قال : أتوجّه حيث يوجهني ربي ، أصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء[4] حتى تعلوني الشمس . فقال أنيس : إنّ لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث عليّ [5]ثم جاء فقلت : ما صنعت؟ قال : لقيت رجلا بمكة على دينك، يزعم أنّ الله أرسله. قلت : فما يقول الناس؟ قال : يقولون شاعر كاهن ساحر ، وكان أنيس أحد الشعراء قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر[6] ،فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر ، والله إنّه لصادق،وإنهم لكاذبون .قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فانظر . قال : فأتيت مكة فتَضَعَّفتُ[7] رجلاً منهم ، فقلت: أين هذا الذي تدعونه الصابئ ؟ فأشار إليّ . فقال : الصابئ ! فمال عليّ أهل الوادي بكل مدرة ، وعَظْم حتى خررتُ مغشيا عليّ قال: فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر. قال : فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء، وشربت من مائها، ولقد لبثتُ

([1]) أمّهما : رملة بنت الوقيعة الغفارية شرح النووي على صحيح مسلم ٢٧/١٦ .

([2]) أي : أشاعه وأفشاه . المرجع السابق .

([3]) أي : القطعة من الإبل ، وتطلق أيضا على القطعة من الغنم .شرح النووي على صحيح مسلم ٢٧/١٦ .

([4]) أي : كالكساء ، وهو الثوب . المرجع السابق ٢٨/١٦ .

([5]) أي : أبطأ وتأخّر عليّ. شرح النووي على صحيح مسلم ٢٨/١٦ .

([6]) أي : طرقُه وأنواعُه. المرجع السابق .

([7]) أي : نظرت إلى أضعفهم فسألته لأن الضعيف مأمون الغائلة غالبا .شرح النووي على صحيح مسلم ٢٨/١٦ .

يا بن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ، ما كان لي طعام الا ماء زمزم، فسمنت حتى تكسرت عكن بطني ،وما وجدت على كبدي سخفة جوع (٨)قال: فبينا أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان إذ ضرب على أسمختهم(٩) ، فما يطوف بالبيت أحد ، وامرأتين منهم تدعوان إسافا ونائلة . قال : فأتتا علي في طوافهما فقلت : أنْكحا أحدهما الأخرى ! قال : فما تناهتا عن قولهما . قال : فأتتا عليّ فقلت: هَنٌ مِثْلُ الخَشَبَة(١٠) غير أني لا أكني ،فانطلقتا تولولان وتقولان لو كان ها هنا أحد من أنفارنا . قال : فاستقبلهما رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وهما هابطان ، قال : ما لكما ؟ قالتا : الصابئ بين الكعبة وأستارها . قال : ما قال لكما؟ قالتا : إنّه قال لنا كلمة تملأ الفم ، وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر وطاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى فلما قضى صلاته، قال أبو ذر : فكنت أنا أول من حيّاه بتحية الإسلام .قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله . فقال : وعليك ورحمة الله ، ثم قال: من أنت ؟ قال : قلت : من غفار . قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته . فقلت في نفسي : كَرِهَ ان انتميت إلى غفار ، فذهبت آخذ بيده فقدعني(١١) صاحبه وكان أعلم به مني ثم رفع رأسه ثم قال متى كنت ها هنا ؟ قال : قلت : قد كنت ها هنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال فمن كان يطعمك؟ قال قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني، وما أجد على كبدي سخفة جوع .قال : إنها مباركة إنها طعام طعم .فقال أبو بكر : يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة . فانطلق رسول الله ﷺ وأبو بكر وانطلقت معهما ، ففتح أبو بكر بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، وكان ذلك أول طعام أكلته بها ، ثم غبرت ما غبرت(١٢) ثم أتيت رسول الله ﷺ فقال : إنّه قد وجهت لي أرض ذات نخل لا أُراها إلاّ يثرب ، فهل أنت مبلّغ عني قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ؟ فأتيت أنيسا فقال : ما صنعتَ ؟ قلت : صنعتُ أني قد أسلمت وصدقت .قال : ما بي رغبة عن دينك ، فإني قد أسلمت وصدقت. فأتينا أمنا

---

(٨) أي : رقّة الجوع وضعفه وهزاله. المرجع السابق .

(٩) المراد بأسمختهم : آذانهم أي ناموا . شرح النووي على صحيح مسلم ٢٩/١٦ .

(١٠) أي : أنّ ذَكَرَ الصنم إسافا كان كبيرا وواقفاً كالخشبة ، يصرّح ﷺ بذلك ولا يكني . الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١٤٩/٢ .

(١١) أي : كفّني ومنعني . شرح النووي على صحيح مسلم ٢٩/١٦ .

(١٢) أي : بقيت مابقيت . المرجع السابق ٣٠/١٦ .

فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ، فإني قد أسلمت وصدقت. فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وكان يؤمهم إيماء بن رحضة الغفاري وكان سيدهم وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا . فقَدِم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي وجاءت أسلم فقالوا : يا رسول الله أخوتنا نسلم على الذي أسلموا عليه فأسلموا . فقال رسول الله ﷺ : غفار غفر الله لها ، وأَسْلَم سالمها الله . (١٣)

من فوائد القصّة :

١- أبو ذرّ هو : جُنْدُب – بالضمّ وهو المشهور – بن جُنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام الغفاري ، أسلم قديما ، وكان من علماء الصحابة. مات بالرَّبَذَة (١٤) سنة اثنين وثلاثين للهجرة .

٢- قوله : " فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته " لّما عَلِم النبي ﷺ أنّه من غِفار،كأنّه استعظم أن يكون بها مثل أبي ذرّ .

٣- قوله: (قوموا إلى هذا الصابئ) أي : الذي خرج من دين إلى دين، وبذلك سمي الصابئون: لأنهم خرجوا من النصرانية إلى دين ابتدعوه . (١٥)

٤- جواز قول الحق عند من يُخشى منه الأذية لمن قاله، وإن كان السكوت جائزا .وهذا يختلف باختلاف الأحوال والمقاصد ، وبحسب ذلك يترتب وجود الأجر وعدمه . (١٦)

٥- كَرِه أبو ذرّ رضي الله عنه أن يسأل عن النبي ﷺ لأنه عرف أن قومَه يؤذون من يقصده، أوأنّهم يؤذونه ﷺ ، أو لكراهتهم في ظهور أمره لا يدلون من يسأل عنه عليه ، أو يمنعونه من الاجتماع به ، أو يخدعونه حتى يرجع عنه . (١٧)

---

(١٣) صحيح البخاري ٣٨٥/١ رقم ٣٥٢٣ . ٩٨/١ رقم ٣٨٦١ .صحيح مسلم ١٩١٩/٤ رقم ٢٤٧٣ .واللفظ له.

(١٤) الرَّبَذَة : منطقة قريبة من المدينة .(التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقّن ٢٦/٣) .

(١٥) من ١-٣ مستفاد من المرجع السابق ٢٦/٣ .

(١٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٧٥/٧ .

(١٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٣/٢٥ .

٦- قوله : (نافر عن صِرمتنا وعن مثلها) معناه تراهن هو وآخر أيهما أفضل شِعرا ، وكان الرهن صِرمةُ ذا ، وصِرمة ذاك ،فأيّهما كان أفضل أخذ الصرمتين ، فتحاكما إلى الكاهن فحكم بأن أنيسا أفضل ، وأحسن شعرا ، فكسب أنيس الرهان .وهو معنى قوله فخيّر أُنيسا ، أي : جعله الخيار ، والأفضل .

٧- قوله : (كأنّي نُصْبٌ أحمر) يعني كأنّي تمثالٌ أحمر من كثرة الدماء التي سالت على جسدي وثيابي بسبب ضرْبهم لي . والنُصْب الصُمُّ والحَجَر كانت الجاهلية تنصبه ، وتذبح عنده فيحمّر بالدم .

٨- قوله (حتى تكسّرت عُكَن بطني) يعني انثنت لكثرة السّمن وانطوت ..

٩- كان اسم المدينة قبل الإسلام يثرب .

١٠- قولهما : " إنّه قال لنا كلمة تملأ الفم " والمعنى : أنّه ﷺ قال كلمة قبيحة عظيمة ، من شدّة قُبْحها فقد ملأت الفمّ ، ولا يمكن ذكرها .

١١- قوله: " فانطلقتا تولولان وتقولان: لو كان ها هنا أحد من أنفارنا "والمعنى :لّما سمعت المرأتان هذا الكلام الصريح والذي يخدش الحياء ،لم يستطيعا إكمال طوافهما ،بل هربتا مسرعتين ،يدعوان بالويل ،ويقولان :لو أنّ عندنا أحدٌ من أنصارنا ،لانتصر لنا. ([١٨])

١٢- قول أنيس ﷺ : " إنّ لي حاجة بمكة " ، يبدو لي –والله أعلم- أنّها حاجة أخيه نفسها ، البحث عن الدين الحق ، والسؤال عن النبي الجديد ﷺ .

١٣- قبيلة غفار بين مكة والمدينة، وقد اشتهرت هذه القبيلة بالسطو، وقطع الطريق على المسافرين والتجار وأخذ أموالهم بالقوة .

١٤- كان أبو ذَرّ رجلاً يصيب الطريق، وكان شجاعًا يقطع الطريق وحده، ويُغير على الناس في عماية الصبح على ظهر فرسه أو على قدميه كأنه السبع، فيطرق الحي ويأخذ ما يأخذ.

١٥- كان أبوذرٍّ ﷺ مُتعَبّدا ، ومتنسّكا قبل إسلامه ، حيث قال : " وقد صليتُ يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله ﷺ بثلاث سنين " . ([١٩])

([١٨]) من ٦-١١ مستفاد من شرح النووي على صحيح مسلم ٢٩/١٦ ومابعدها .

([١٩]) من ١٣-١٥ مستفاد من موقع قصّة الإسلام إشراف د. راغب السرجاني .

١٦- كان أبو ذرﷺ يمتاز بجرأة القلب، ورجاحة العقل، ، وفطرته كانت تأبى أن يعبدَ الأصنام، وكان يضيق أشد الضيق بهذه الأوثان التي تُعبد من دون الله، ويستنكر على قومه، فساد دينهم، وتفاهة معتقدهم .

١٧- كان ﷺ بعيد النظر ،يتطلّعُ إلى ظهور نبي جديد ، يملأ على الناس عقولهم وأفئدتهم، ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

١٨- كان ﷺ يشعر بفراغٍ إيماني ، فكان عنده بحث دائم، ثم تناهت إليه وهو في باديته أخبارُ النبي ﷺ الذي ظهر في مكة .فارسل أخاه أُنيْسا بقوله : " بلغنا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لأخي : انطلق إلى هذا الرجل كلّمه ، وأتني بخبره " . ([٢٠])

١٩- عَلِمَ الله صِدَق أبي ذرّ ﷺ ، فهيأ الله له لقاء النبي ﷺ ، والسماع منه ، والإسلام على يديه .

٢٠- كان أبوذرّ ﷺ أُمّةً وحده .

٢١- أيّ وضع أنت فيه؟ من أي انتماء أنت؟ من أي عرق كنت؟ من أي لون؟ من أي طبيعة؟ من أي مستوى؟ من أي أصل؟ لا شيء في الأرض يمنعك من أن تكون مؤمناً وبطلاً مؤثّرا في مجتمعك ، ولك بصمتك . ([٢١])

٢٢- بإمكان خال أبي الدرداء أن يبكي ؛ بدون أن يغطّي نفسه بالثوب ، لكن هذا يعطينا صورة بليغة لشدّة الحالة التي أوقع نفسه فيها .

٢٣- كان أبوذرّ ﷺ قبل إسلامه يصلّي وقتا طويلا من الليل حتى يسقط من التعب . فالحمد لله الذي لم يُكلِّفْنا مالا نطيق ، قال سبحانه : " لا يُكلّف الله نفسا إلا وُسْعها "([٢٢]) ويقول ﷺ : " خذوا من العمل ما تطيقون " .([٢٣])

٢٤- يبدو أنّ شدّة حرارة الشمس ، هي التي كانت توقظ أبا ذرّ ﷺ ، عندما كان ينام بعد صلاته من التعب ، والإرهاق .

([٢٠]) صحيح البخاري ٣٨٥/١ رقم ٣٥٢٣ .

([٢١]) من ١٦-٢١ مستفاد من درس ٤٨-٥٠ رجال حول الرسول ﷺ، د. محمد راتب النابلسي ،موقع موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية.

([٢٢]) سورة البقرة آية ٢٨٦ .

([٢٣]) صحيح البخاري ٨٣/١ رقم ١٩٧٠ ... صحيح مسلم ٣٣٢/١ رقم ٥٨٦١ .

٢٥- قوله : " فحسدنا قومه " الحسد تمني زوال النعمة من أخيك . فحقد عليهم قوم خاله ، حيث إنّهم عاشوا عنده بأهنىءِ عيش ، وأرغده ، ويمكن أيضا أنهم كانوا يكرهون قبيلة غفار . فتسببوا في خلق الفتنة بينه وبينهم .

٢٦- القَالَة ، والوُشاة أهل فتنة ، وشرّ ، وفساد .

٢٧- قوله : " أمّا ما مضى من معروفك ؛ فقد كدّرته " أي : كان معروفك دَينا في رقابنا صافيا جليلا ، لكن بهذا الاتهام فقد كدّرته ، وعكّرته .

٢٨- قوله : " ولا جماع لك فيما بعد " كأنّه حلف ألا يساكن خاله ، أو يجتمع معه أبدا ، بعد هذا الاتهام الخطير .

٢٩- قوله : " وتغطّى خالنا ثوبه فجعل يبكي " دلالة واضحة على أن خالة تأثر بما آل إليه حال أخته ، وأبناءها ، وأنه استعجل في الاتهام ، فكانت هذه النتيجة المحزنة .

٣٠- قول أبي ذر ﷺ للتابعي عبدالله بن الصامت : " يا بن أخي " ليس هو ابن أخيه على الحقيقة ، وإنّما جرى ذلك على عادة العرب في التراحم .

٣١- قوله : " أصلى عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ، ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس " والمعنى : أنّه كان يصلّي من أوّل الليل ، حتى يَقْرُب آخره ، فينام من السهر والإعياء ، كثوب لا حِراك به ، ولا إحساس ، حتى ترتفع الشمس . أمّا كيف كان يصلّي ؟ فالظاهر أنّها كانت مُطلق عبادة ، ودعاء ، وثناء على الله .ولم تكن الصلاة المعروفة في الإسلام .

٣٢- قوله : " لقيت رجلا بمكّة على دينك . أي : يُشبه عقيدتك ، وعبادتك .

٣٣- الرجل الذي سأله أبوذرّ ﷺ أحسّ بأنّ أبا ذر ﷺ رجلٌ غريبٌ ، وأنّه يميل إلى دعوة النبي ﷺ ، لذلك أغرى قريشا به فضربوه .

٣٤- بمجرد الإشارة إلى أبي ذر ﷺ ، قام إليه الصبية ، والسفهاء ، وتجمّعوا حوله ، وقذفوه بما وجوده حولهم من حجارة وعَظْم ، حتى سقط على الأرض مغشيا عليه . وهذا يدلّك على مدى غيظهم ، وكراهيتهم للنبي ﷺ ، ولكل من يحاول أن يصل إليه .

٣٥- قوله : " فبينا أهل مكة في ليلة قمراء أضحيان إذ ضرب على أسمختهم فما يطوف بالبيت أحد وامرأتين منهم تدعوان إسافا ونائلة " .والمعنى : أنّه في ليلة مضيئة جميلة ، ليس

فيها غيمٌ ، والناس نيام ، وليس هناك أحد يطوف بالبيت ، إلا امرأتان لوحدهما تطوفان ، وتؤديان طقوس العبادة ، وتدعوان الأصنام ، واسم الصنمان إسافا ونائلة .

٣٦- قوله : " فأتتا عليّ في طوافهما ، فقلت : أنكحا أحدهما الأخرى ! قال : فما تناهتا عن قولهما " والمعنى : أنّ المرأتين في طوافهما ، مرّا على أبي ذرّ ﷺ ، وكان بجوار الكعبة ، فقال لهما استهزاء وسخرية بالصنمين ، وبدعائهما لهما : زوّجا إسافا لنائلة ، أو ركّبَا إسافا على نائلة يجامعها .

٣٧- قوله : " فما تناهتا عن قولهما . قال : فأتتا عليّ فقلت هَنٌ مثل الخشبة غير أني لا أكني " والمعنى : مع أنّ أبا ذرٍّ ﷺ سخر من هما ، واستهزأ بهما ، وبآلهتهما المزعومة ، إلاّ أنّهما لم يكترثا ، ولم ينتهيا عن عقيدتهما ودعائهما لهذه الأصنام .بل قَرُبتا منّي غير مباليتين .يقول : فلمّا رأيت الحال كذلك ، صرّحْتُ بذكر " الفَرْجِ والذّكَر " ، فقال مثلاً : ذَكَرٌ مثل الخشبة ، وكان لإساف ذكَرٌ ظاهرٌ بارز . فأراد بذلك سبّ إسافا، ونائلة ، والسخرية منهما ، وإغاضة المرأتين .

٣٨- في هذا الحديث: ما يدل على أنّ أبا ذرﷺ وُفّق لما يجب على كل مؤمن من النظر لقوله عز وجل: {إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد}([٢٤]) وكان توفيقه بإرسال أخيه لما بلّغه دعاء رسول الله ﷺ الخلقَ إلى ربهم، وقَصَده بعد ذلك بنفسه.

٣٩- في الحديث صورة حيّة لبدء الدعوة الإسلامية ، وما لاقى المسلمون الأوائل من الشدّة ، والاضطهاد . ([٢٥])

٤٠- كان أبوذرّ ﷺ ينتظر أخاه بشوق ولَهَفٍ ، ليعرف خبر النبي الجديد ﷺ .يؤكّد ذلك قوله : " فراث عليّ " أي : تأخّر .

٤١- إنّ المؤمن يزن القول ويعتبره، ويُقَسِّمُ له التقاسيم، ثم إذا أدّى التقسيم إلى أن الحق في جهة صار إليها، ألا ترى أن أخا أبي ذر قال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلامًا ما هو بالشعر. ومكارم الأخلاق من أمارات المُحِقّين ، ودلائل الصادقين .

([٢٤]) سورة سبأ آية ٢٦ .

([٢٥]) من ٢٥-٣٩ مستفاد من فتح المنعم شرح صحيح مسلم د.موسى شاهين لاشين ٤٦٠/٩ ومابعدها .

٤٢- إذا كان للإنسان أمر مهم لم يبدأ بالسؤال عنه حتى ينظر من يصلح للسؤال عنه .

٤٣- قوله: (ارجع إلى قومك حتى يأتيك أمري) فيه دليل على جواز التربص بالأعداء والصبر عليهم.

٤٤- جواز أن يبذل المؤمن نفسه ، معرّضًا بها للتلف في إظهار الحق .

٤٥- قول قومه لخالهم :(إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس) فيه التحذير من سماع قول الحسّاد .

٤٦- وفيه أن ماء زمزم أسْمَنَتْه، وأنها مباركة، وقد أخبر أنه تكسرت عكن بطنه فلم يلتفت لذلك ، لأنّ ما جرى كان آية من آيات الله عز وجل.

٤٧- مِنْ حُسْنِ الصُحْبة ، أن لا يُضيّف الرجل رجلًا غريبًا ؛ لا يعلم علْمَه إلا عن إذن من صاحب أمره ، فأبوبكر ﷺ لم يُضيّف أباذرٍّ ﷺ ، إلاّ لما استأذن من النبي ﷺ . فإنه لا يأمنه أن يكون جاسوسًا لعدو ، أو طليعةٍ لمشرك ، أو نحو ذلك.

٤٨- أنه لا يجوز أنْ يُحْقَرَ ما قُدّم للضيف على حسب ما يتفق لقوله (فجعل أبو بكر رضي الله عنه يقبض من زبيب الطائف) .

٤٩- فيه دليل عن أن الإسلام من النساء مقبول، وإنْ لم يعرفن أدلة النظر، فإن أم أبي ذر قالت: (لا رغبة لي عن دينكما) فجعلت الدلالة على صحة ما انتقلت إليه إسلام ولديها.

٥٠- في الحديث دليل على أنّ القوم أسلموا ، وصلّوا جماعة، لأنّه كان يؤمهم إيماء بن رحضة.

٥١- إذا اتفق في القول ما يجانس فيه كان أولى من غيره، لأنه أحلى في السمع وأقرب إلى الحفظ لقوله ﷺ (غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله) إلاّ أنّ هذا إذا اتفق فذاك، وأمّا إذا تُكُلِّف له تكلفًا فلا. ([٢٦])

٥٢- قولهم عن النبي ﷺ : " شاعر ، كاهن ، ساحر " هذا ماتقوله الأمم السابقة عن أنبيائهم ، فليس بغريب عن قريش أن تقول ذلك مثلهم، لتصدّ الناس عن دعوة الحق .

٥٣- هكذا يفعل السفهاء ، ومن له قدرة بمن يخالف الدين الذي يعتقدونه، فمصيره الضرب والتنكيل والعقوبة .

([٢٦]) من ٤٠-٥١ مستفاد من الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ١٤٩/٢ ومابعدها .

٥٤- همُّ واحد أرّق كيان أبي ذرٍّ ﷺ ، وأشغل باله، وغطّى على كل اهتماماته إنه البحث عن الحقيقة "الدين الصحيح" .

٥٥- فضيلة ومنقبة لأبي ذرّ ﷺ .

٥٦- فيه ما كان يلقى المؤمنون من أذى المشركين وصبرهم عليه .

٥٧- هداية الله لأبي ذرّ ﷺ ، وعنايته به.

٥٨- معنى الزّعْمُ هو : القول يكون حقّاً ويكون باطلاً . فإذا قيل ذكر فلان كذا وكذا فإنما يقال ذلك لأَمر يُسْتَيْقَنُ أَنه حق ، وإذا شُكَّ فيه فلم يُدْرَ لعله كذب ، أَو باطل قيل: زَعَمَ فلان .حيث قال: أنيس ﷺ عن النبي ﷺ : " يزعم أنّ الله أرسله " . ([٢٧])

٥٩- إنّ ماء زمزم تكفي شاربها عن الطعام .

٦٠- قوله: فقلت: السلام عليك يا رسول الله، فقال: " وعليك ورحمة الله ": فيه جواز مثل هذا في الردّ، فليس فيه لفظ السلام ، والمستحب ما استمر من عمله عليه الصلاة والسلام وعمل الصحابة، قال الله تعالى: " وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا " . فأحسن منها قول : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . ، أو ردّوها ، قول : وعليكم السلام . ([٢٨])

٦١- على الإنسان أن يهاجر من المكان الذي لا يستطيع أن يؤدّي فيه عبادته .

٦٢- البيئة التي يعيش فيها الإنسان لها تأثير كبير عليه ، وعلى مايدين به .

٦٣- خروج الإنسان من بلده ، ووطنه الذي عاش فيه طفولته له أثر نفسي عليه .

٦٤- الصادق يُعرف من كلامه ، ومن نبرة صوته ، وسيماء وجهه .

٦٥- كان أهل الجاهلية يستحلون الأشهر الحرم ، فيقاتلون فيها .

٦٦- على المسلم أن ينكر المنكر قدر استطاعته .

٦٧- خطر الإشاعة ، وأنّها تفسد المجتمعات .

٦٨- بعض الأخطاء التي يرتكبها الشخص تكون وبالا عليه ، ولا مجال لإصلاحها .

٦٩- عمل الكهانة حرام ، وكان أُنيس ﷺ قد فعل ذلك قبل إسلامه .

([٢٧]) لسان العرب لابن منظور ١٨٣٤/٣ مادة : زعم .

([٢٨]) من ٥٥-٦٠ مستفاد من إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم للقاضي عِياض ٥٠٦/٧ .

٧٠- يُعتبر أبوذرّ ﷺ من جنس الموحدين قبل البعثة النبويّة أمثال ورقة بن نوفل وغيره .

٧١- كان ﷺ يعلم أن الذي يستحق العبادة هو الله عز وجل ، لكن لا يعرف كيف يصلي ؟ ولا أين يستقبل ؟

٧٢- يبدو أن هذه القصة وقعت والدعوة في مكة أصبحت جهرية؛ لأنهم عادوه، ومعنى ذلك: أنه أعلن الدعوة، ولذلك وقفوا من كل من يسأل عن النبي ﷺ هذا الموقف.

٧٣- الرجل الضعيف الذي سأله أبوذرّ ، كان بلاء عليه ، حيث أنه نبّه عليه ، وأشار إليه ، بقوله : الصابئ .

٧٤- حرمة الجلوس في أماكن المنكرات .

٧٥-- إذا كان الإنسان في مكان فيه منكر لا يستطيع أن يغيّره، ولا يستطيع البقاء فيه سليماً فعليه أن يهاجر مباشرة .

٧٦- سلامة الدين أهم من جميع الأشياء الأخرى.

٧٧- الاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان ؛ خوف الحسد وغيره .

٧٨- ينبغي لصاحب النعمة إذا خشي من حسد الناس، ومن العين مثلاً، ألا يخبر بالنعمة التي هو فيها، ويخبّئها .

٧٩- من يكيدون، وينشرون الشائعات ، يتهمون بالتهم الباطلة، ويتلبسون بلبوس الناصحين على قلوب الذئاب . حتى يُسْمَع لهم ، ويحققون أغراضهم الدنيئة .

٨٠- الحسد مشكلة كبيرة، ولذلك ينبغي على الإنسان دائماً أن يقرأ المعوذات، وأن يستعين بالله على أولئك الناس، ويتعوّذ بالله من شرّهم .

٨١- عدم التسرّع في تكدير المعروف ، فالإنسان أحياناً يفعل معروفاً،ولكن نتيجة تسرع منه يأتي بما يكدر هذا المعروف . إمّا بفعل أو كلمةٍ تُفْسد ماصنع .

٨٢- قول أنيس ﷺ لأبي ذر ﷺ " لقيت رجلاً بمكة على دينك " هذا فيه إشعار بأن أهل الحق يتشابهون، وأهل التوحيد يتشابهون، ولو لم يلتق أحد منهم بالآخر، أو كان بعيداً .

٨٣- سلامة فطرة أبي ذرّ ﷺ .

٨٤- قول أنيس ﷺ : (لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، ووضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه الشعر) نأخذ منه أهمية المعرفة للمسلم، فمعرفة

الأمور تأتي بمعرفة خلفيات الأشياء فلا تتشابه عليه ، فيستطيع أن يحكم عليها، فلأنّ أنيساً رضي الله عنه يعرف أوزان الشعر، وطرق الشعر، ويعرف أقوال الكهان وعنده خلفية عن هذه الأشياء ما ضُلِّل وما صدَّق أن الرسول ﷺ كاهن ولا شاعر .

٨٥- لا بد أن يتعلّم المسلم عن المذاهب الهدامة، وعن النفاق والمنافقين ومساجد الضرار حتى لا يخدع بكثير من الشعارات التي تُرفع، والأعمال التي تُعمل، وليست لوجه الله، وإنما يراد من ورائها الصد عن سبيل الله.

٨٦- بعض الأمور لا يكفي الإنسان فيها كلام الأشخاص، فهذه قضية رسول ونبي ظهر، وهي قضية خطيرة، وليست سهلة، وليست مثل شخص يقول: اذهب إلى ذلك المكان فإذا وجدت فيه ماء أعلمني، إن هذه قضية تحدد مسار الإنسان ، وتحدد مصيره، وفيها تغيير شامل لحياة الإنسان ، ولذلك ما اكتفى أبوذرﷺ بكلام أخيه، بل قال:" فاكفني حتى أذهب فانظر "، وذهب بنفسه.

٨٧- ذكاء أبي ذر ﷺ في سؤاله عن رسول الله ﷺ . فهذا رجل ذاهب إلى مكان فيه تضليل إعلامي على الرسول ﷺ ، والناس في عداء شديد، فعرف من يسأل، قال: (فتضاعفت رجلاً) ما سأل أي واحد من الناس وقال: أين الرسول ﷺ وأين محمد ﷺ ؟ وإنما: (تضاعفت رجلاً وقلت: أين الصابئ) وهذا فيه ذكاء في البحث .

٨٨-إن الله يعين الذي يريد أن يصل إلى الحق حتى بالأشياء المادية، فلا يوفقه حتى يصل إلى نهاية المطاف فقط، وإنما مثل ما أن الله عز وجل أعان أبا ذر فرزقه شرب ماء زمزم ثلاثين يوماً بدون طعام، يعينه لأنه يريد أن يصل إلى الحق.

٨٩- إن في فعل أبي ذر ﷺ تجاه الأصنام فيه إغاظة الكفار، وسب آلهتهم وغيظهم وهذا أمر مهم أن نفعله اليوم، أن نستهزئ بآلهة الكفار ومعتقداتهم - إذا لم يؤد ذلك إلى سبهم لله عز وجل ودين الإسلام ونبيه عليه الصلاة والسلام .

٩٠- كان أبو ذر ﷺ ، مؤدّبا جداً ،يقول: (فقلت: هَنٌ مثل الخشبة غير أني لا أكني) أي: أنه لما صار مع الراوي وهو مسلم ،فليس هناك داعٍ أن يقول له الكلمة القبيحة التي قالها لسب آلهة المشركين، ولذلك أتى بكلمة (هَنٌ) هذه كناية، قال: (غير أني لا أُكْني)

لكني ما كنيتُ لما قلتُ للمرأتين الكافرتين ما كنيت، وهذا من الأدب في استخدام العبارات، وفي أن لكل مقام مقال يناسبه .

٩١- الكفار يعتقدون أنهم على حق ، فلا نظنّ أن السخافة التي نرى بها أصنام الجاهلية ومنطقهم ، ومعتقداتهم أنّهم ينظرون إليها بنفس المنظار، فنحن قد أنعم الله علينا بالإيمان فقد نرى أن شبههم تافهة، لكن في منظارهم هُم أنّ هذا حق، وكيف يُنْتقص ويُحْتَقر مايعبدونه ، ويعتقدون فيه ،فلا بدّ من دفاعهم عنه، فال الله عنهم: { قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ }(٢٩) { أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ }(٣٠) لا بد أن نصبر على الآلهة، ولا بد أن ندافع عنها، هكذا ينظرون، ولذلك من الخطأ أن تأتي إلى شخص عنده شبهة وتقول: ما هذا الشيء التافه الذي أنت مقتنع به ؟ فهذا لا يصلح؛ لأنه هو لا يرى أنه تافه، وهذا لا يعتبر رداً.

٩٢- التبجيل لرسول الله ﷺ ، وكيف أن أبا بكر رضي الله عنه أمسك أبا ذر رضي الله عنه ، فمنعه من أن يمسك يد الرسول ﷺ ، وهذا التبجيل يأتي من الأعلَم لذلك يقول : " وكان أعلم به مني) فالعلم يؤدي إلى تبجيل ،وتعظيم حرمات الله.

٩٣- تفقدُ القادمين للحاق بالدعوة ، نجد أن الرسول ﷺ اهتم بأبي ذر رضي الله عنه فسأله عن طعامه وعن معيشته، صحيح أنه جاء للحق، لكن النفس البشرية لها حاجة للمسكن ولها حاجة للطعام .

٩٤- راحة الأشخاص الذين يريدون الانضمام إلى ركب الدعوة ، وضيافتهم للاستئناس بهم ومعهم ، مهمة جداً ، لذلك أبو بكر رضي الله عنه استأذن من النبي ﷺ ، حرصا منه على المسلم الجديد حتى يتداخل معه، ويحصل استئناس بينهم، ويكرم ذلك الرجل الذي أتى، خصوصاً أنه قد اضطهد اضطهاداً بالغاً ، فلا بد من تعويضه بشيء من الإكرام.

٩٥- حكمة النبي ﷺ ، وحسن تخطيطه للدعوة ، فهو يخطط لدعوته ، فكانت الدعوة في مكة في بدايتها وكانت في مرحلة الضعف ، والاضطهاد له ولأتباعه . فإذا رأى مضرّة في بقاء الشخص في مكة وهو من غير أهلها، يقول له: (ارجع إلى قومك فإذا سمعت أني قد

---

(٢٩) سورة الأنبياء آية ٦٨ .

(٣٠) سورة ص آية ٦ .

ظهرت فائتني) . ومن الحكمة والخير أن تنتشر الدعوة في بلدان أخرى غير مكان الاضطهاد مثل مكة ، لذلك لما انتقل النبي ﷺ إلى المدينة ؛ جاء أبو ذر بالقبيلة كلها، فجاء النصف الأول ، ثمّ جاء النصف الثاني وأسلموا . وهذا من حكمته ، وقدرته ﷺ على التخطيط .

٩٦- الترغيب في الدعوة إلى الله، ونشر الخير بين الناس ، وعظم أجر ذلك .

٩٧- بعض الناس قد يتريثون في قبول الحق ، فلا نَعدم منهم الأمل، فلا تقل: إما أن تسلم الآن ، وإلا اذهب فإني مخاصمك، ومقاطعك إلى يوم الدين ! فقد أسلم نصف غِفار، والنصف الباقي قالوا: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا .وهذا ماحدث .

٩٨- إن هداية الله عظيمة، فقد كانت قبيلة غفار تقطع الطريق، وتسرق الحجاج، وهذه من الجرائم العظيمة، ثم هداهم الله فأصبحوا من أعوان وأنصار الإسلام ، فلا تستبعد على أي إنسان مهما كان مغرقاً في المعاصي أن يهديه الله عز وجل.

٩٩- الأسماء الحسنة فيها مجال لمن أراد أن يتفاءل بالخير، ولذلك قال الرسول ﷺ : (غفار غفر الله لها) لو كان اسمهم: (كعب) أو كان اسمهم: (حرب) أو (كلب) مثل بعض القبائل، فهذه الأسماء لا تتيح مجالاً للتفاؤل، ولذلك تفاءل النبي ﷺ بأسماء هذه القبائل الحسنة .

١٠٠- هذه قصة الدعوة ، وهي ليست مسألة سهلة، إنّه تاريخ لا بد أن ينقل إلى الناس، فيتعلموه، ولا بد أن يُقدّم إلى الأمّة رصيد التجربة الماضية للأجيال القادمة، لكي يستفيدوا منها ، إنها قصة عظيمة عاشها صاحبها بحلوها ومُرّها ، ونخرج منها الدروس والعبر .

١٠١- أبو ذر رضي الله عنه أوّلَ ما ضُربَ حتى غُشِي عليه ، وسال منه الدم حتى صار أحمر اللون ، لم يقل : سأترك هذا الأمر، بل استمر نحو هدفه الأسمى ، وهو البحث عن الحق ، والعقيدة الصحيحة . فهو من الشخصيات الجريئة ، التي تركب المخاطر للوصول إلى الحق وضَربَ في ذلك أروع الأمثلة للثبات على الحق ، والمبدأ الصحيح .

١٠٢- شخصية أبي ذر الغفاري رضي الله عنه شخصية عظيمة ، فقد تحمّل ما تحمّل، لأجل الوصول إلى الحق، والتعرف على الرسول ﷺ ، ثم تابعه، ثم ذهب داعية إلى قومه واجتهد فيهم ثم هاجر إلى المدينة ، وشهد الغزوات، وبعدما توفي الرسول ﷺ ظل ثابتاً، وكان لا

يخشى في الله لومة لائم ؛ حتى تأذى منه بعض المسلمين في صدعه بالحق في عهد عثمان ، وطلبوا منه أن يأتي به إلى المدينة ، ثم بعد ذلك ذهب إلى الرَّبَذَة ، وتوفي بها ﷺ ، وجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء . ([31])

١٠٣- أفضلية تلقي الخبر بلا واسطة .فأبوذر ﷺ لم يهنأ حتى تلقى خبر النبي ﷺ ، بنفسه بلا واسطة .

١٠٤- الذين على التوحيد في ذلك الزمان كانوا قلَّةً جداً، فأكثر الناس في ضلالةٍ وغوايةٍ، وأهل الدين من الندرة بمكان حتى بالكاد يوجدون، وسببه هلاك الناس، وأنهم بدّلوا دينهم وحرفوه، وتركوا أكثر ماكانوا عليه.

١٠٥- القصة إذا كانت حقيقية وذُكرت بأدقّ تفاصيليها يكون لها وقع في النفوس ، وتأثير على المستمعين ، فالقصة تصل أكثر مما يصل إليه الكلام الإنشائي.

١٠٦- لقد صنع أبوذر ﷺ لنفسه مجداً وفخراً بطموحه وإصراره، سطّرَه له التأريخ جيلاً بعد جيل.

١٠٧- تعتبر قصة أبي ذر ﷺ صورة حية، ولوحة نابضةً على مرأى ، ومسمع الناس لتنشيط العزائم ، وابتعاث الهمم.

١٠٨- لابد من تحمل تبعات القرار ، وقبول الآثار المترتبة عليه .

١٠٩- اتخاذ القرار وعدم التراجع فيه مهم جداً ،إذ هو يمثل منعطفاً تاريخياً في حياة الإنسان .

١١٠- محبة الصحابة لفعل الخير ، وبذل المعروف والمسارعة اليه ، حيث سارع أبوبكر ﷺ بضيافة أبي ذرّ ﷺ .

١١١- منقبة وفضيلة لأبي بكر ﷺ .

١١٢- الصحبة أمرها عظيم ، ولها دور فاعل في حياة الإنسان ، لذا أكّد النبي ﷺ عليها في أحاديث منها : "المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[32] ،فالنبي ﷺ صَحِب أبابكر ﷺ ، وأبوذرّ ﷺ صَحِب معه أخاه أُنيسا ، فرضي الله عنهما ، وعن والدهما .

([31]) من ٦٧-١٠٢ مستفاد من دروس صوتية للشيخ محمد بن صالح المنجد رقم الدرس ٢٤٢ .قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

١١٣- أحيانا الإنسان في بعض المواقف التي تمرّ عليه في حياته يُكَلِّمُ نَفْسَه، وكأنها شخص ماثل أمامه .في قوله : " فقلتُ في نفسي : كَرِه أن انتميت إلى غِفار " .

١١٤- إنّ العز و الرفعة إنما هي في هذا الدين .

١١٥- مع أن أباذرّ ﷺ من عائلة تعبد الأصنام، وفي قبيلة معروفة في الجاهلية باللصوصية والسرقة، إضافة إلى أنّه عُرِف عنه الجرأة والإقدام ، إلاّ أن الله قذف في قلبه كره عبادة الأصنام ، ومايفعلونه من أمور الجاهلية .

١١٦- على المسلم الحرص على الوقت ؛ لأن وقت المسلم هو حياته .لّما جاء أنيس إلى أبي ذرّ ﷺ ، وأخبره عن حال النبي ﷺ ، و لم يَشْف مافي نفسه ، مباشرة قال لأخيه : " فاكفني حتى اذهب فانظر " . لا وقت لدى أبي ذرّ لكي يضيّعه .

١١٧- اللقاء الأول مهم جداً في أي مقابلة .فقد حرص النبي ﷺ ، وصاحبه ﷺ ، على حُسْن استقبال المهتدي الجديد ، واستضافته من أوّل لقاء .

١١٨- لا تلتفت إلى الوراء وانظر أمامك، فأبوذرٍّ ﷺ لو جلس يفكر فيما لاقاه من الصعاب، والصدمات، وغير ذلك مما لاقاه حتى أسلم لتقوقع على نفسه، و قتل كل طموح عنده، لكنه نسف كل شيء لاقاه وواجهه، وخلّف ذلك وراء ظهره، ومضى قدماً نحو المستقبل المشرق .

١١٩- لولا مكابدة البلاء ، والصبر على المشاقّ ، لما نِيْلت مَرتبة ، ولما حِيزت مَنقبة. (٣٣)

١٢٠- من حُبّ الأم لولديها ، وشفقتها عليهما ، خرجت بطواعيتها مع ولديها .وكان خروجها معهما خيرا وبركة لها ، حيث نالت شرف التصديق والإسلام .

١٢١- كان خروج أبي ذرّ ، من قومه ، خيرا وبركة عليهم ، فقد أسلموا كلهم ، وأنقذهم بذلك من خزي الدنيا ، وعذاب الآخرة .

١٢٢- من الصفات التي كانت موجودة في أهل الجاهلية ، وأقرَّها الإسلام : صفة الكَرَم.

١٢٣- قوله : " فنزلنا على خال لنا فأكرمنا "زيارة الخال ، والبقاء عنده فترة من الزمن ، تشير أن هناك تواصل اجتماعي بين الأسرة الواحدة في المجتمع الجاهلي.

---

(٣٢) سنن أبي داود ٤٠٧/٤ رقم ٤٨٣٥،سنن الترمذي ٥٨٩/٤ رقم ٢٣٧٨ ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٦٤/١ رقم ٣٥٤٥.

(٣٣) لطائف المعارف لابن رجب ٤/١ بتصرف.

١٢٤- قوله : " فأحسن إلينا " المراد بالإحسان : إتقان العمل . أو نفعِ الخلـق[٣٤] . ولا شكّ أنّ خالهم نفعهم أوّل أمرهم ، بحسن استقباله لهم ،واستضافتهم ،وبقائهم عنده فترة.

١٢٥- عزّة نفْس أبي ذرّ ﷺ ، فلم يبْق لحظة بعدما سمع الاتهام الباطل من خاله .

١٢٦- استعمل أبو ذرّ ﷺ لغة رفيعة ، وألفاظا جزْلة ، تحتاج إلى تعريف .مثل قولـه : " فنثا علينا " ، " صِرْمتنا " ، " فنافر " ، وغيرها .

١٢٧- قوله : " فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكّة " معنى انطلق أي : انـدفع مسـرعا [٣٥]. وتوحي هذه الكلمة بأنّه لم يمش ، أو يسير سيرا عاديا ، بل اندفع نحـو غايتـه مسـرعا ، وكأنّه انفك من قيودٍ منعته من التحرّك .

١٢٨- قوله : " قلتُ : فما يقول الناس " لا تلتفت إلى ما يقوله الناس ، ولا ما يتناقلونه بينهم ، فقد يكون غير صحيح ، أو أنّ مايقولونه ، وراءه أناس قصـدوا أن ينتشـر هـذا الكلام ليحقق لهم أغراضهم ، ومآربهم .فكم من كلام أشيع بين الناس ، والغـرض منـه أسقاط شخص بعينه بدون وجه حق .

١٢٩- قوله : " يزعم أنّ الله أرسله " فالله سبحانه هو الذي يصطفي من يشاء من عباده ، ويرسله ليبلغ للناس ما أُرسِل به .

١٣٠- أقسم أنيس ﷺ بالله أنّ النبي ﷺ لصادق ، ولم يكتف بهذا ، بل أكّد بالواو ، وإنّ المؤكّدة ، أنهم أي قريش لكاذبون .وهذا يدلّ أنّ الإيمان بالنبي ﷺ استقرّ من أول لقاء .

١٣١- لا شكّ أنّ أبا ذرّ بعدما ضربوه ، وسالت الدماء منه ، قد تأثّر جسده تأثّرا بالغا ، فلم يكن هناك طبيب يداويه ، ويخفف عنه جراحه ، لكنه استعان بعد الله بماء زمزم .

١٣٢- يصوّر لنا أبو ذرّ ﷺ حاله بعدما ضربوه تصويرا بليغا ، كأنّك ترى صورة حيّـة ماثلة أمامك . حيث قال : " كأنّي نُصْبٌ أحمر " .

---

(٣٤) موقع : معجم المعاني .

(٣٥) المرجع السابق .

١٣٣- لم يُجْدِ أبو ذرّ ﷺ ، أخذه الحيطة والحذر في السؤال عن النبي ﷺ ، والتحري ، واختيار شخص ضعيف الحال ، واستعمال العبارات التي تبعد عنه تهمة الاتباع للنبي ﷺ ، مع كل هذا الاحتياط إلا أن قدر الله وقع عليه .نفهم من هذا أنّ على المسلم أن يبذل الأسباب قدر استطاعته ، لأنّه مأمور بذلك .

١٣٤- قوله : " فما يطوف بالبيت أحد ، وامرأتين منهم تدعوان إسافا ، ونائلة " من ضمن العبادات التي كانت تقوم بها قريش ، هي الطواف بالبيت ، لكن مع طوافهم هذا ، كانوا يدعون أصنامهم من دون الله عزّوجل .

١٣٥- لقد ستر الله على أبي ذرّ ﷺ ، فلم ينَلْه أذى سوى المرّة الأولى ، رغم أنّه سب آلهة المشركين ، وتكلّم فيهم بأشدّ الألفاظ ، وارتفعت أصوات المرأتين بالوَلْوَلة من شدّة مانالهما من أبي ذرّ ﷺ ، فلم يكن أحدٌ يسمع لهما ، سوى النبي ﷺ ، وصاحبه ﷺ .

١٣٦- قد يصبر الإنسان على بعض الأذى ، ويكظم الغيظ ، لكن للصبر حدود ، فلو زاد الأذى ، وتجاوز حدّه فإنّ الإنسان لا يحتمل .فالمرأتان سمعتا ماقال أبوذرﷺ في أوّل الأمر : " أنكحا أحدهما الأخرى " فما اهتمّا لما قال ، ومضيا في طوافهما ،لكن لّما قال لهما : " هَنٌ مثل الخشبة " لم يتحمّلا ذلك .بل انطلقتا بسرعة وهما تولولان ، وتقولان : لو كان هاهنا أحد ينتصر لنا .

١٣٧- قوله : " فكنت أوّل من حياه بتحية الإسلام " والمعنى أنّ أباذرّ ﷺ هو أوّل من حيّا النبي ﷺ بالسلام كما في هذه الرواية .

١٣٨- كان أبوذرّ ﷺ يراقب النبي ﷺ ، وهو يقابل المرأتين ، ويسألهما ، وسمع ماقاله النبي ﷺ لهما ، ورآه يستلم الحجر ، هو وصاحبه ، وكذلك وهو يطوف بالبيت ، وهو يصلّي حتى انتهى ﷺ من صلاته ، ثمّ قام إليه فقابله ثم سلّم عليه .

١٣٩- لا شكّ بأن للكلام السيء أثراً ، وحرارة على النفوس ، وقد تكون كلمة أشدّ على النفس ، من طعن الحسام المهنّد .

١٤٠- دار حوار قصير بين أبي ذرّ ﷺ وبين النبي ﷺ ، فبعد السلام وردّه ، سأله ﷺ مجموعة أسئلة : من أنت ؟ متى كنت هاهنا ؟ فمن كان يُطْعِمُك ؟ .

١٤١- الزبيب من العنب ، وهو طعام لذيذ ، وخفيف على المعدة ، وذو فائدة عظيمة للجسد، وهو أوّل طعام أكله أبو ذرّ ﷺ منذ أن دخل مكة ، واختبأ بين الكعبة ، وأستارها .

١٤٢- كان لديهم في البيوت خزائن يوضع فيها الغذاء ، حتى لا يتعفّن . في قوله :" ففتح أبوبكر بابا ، فجعل يقبض لنا من زبيب " فكان الزبيب موضوعا في تلك الخزانة المغلقة بباب ، فتحه أبوبكر ﷺ .

١٤٣- كان إسلام أبي ذرّ ﷺ قبل هجرة النبي ﷺ إلى المدينة .

١٤٤- قوله ﷺ : " إنّي قد وُجِّهَتْ لي أرض ذات نخل لا أُراها إلاّ يثرب " فيه إشارة إلى أنّ الوحي نزل عليه ﷺ ، وأنّ الله أمره بالهجرة إلى المدينة .

١٤٥- عُرفت المدينة بكثرة نخيلها .ولا زالت إلى وقتنا الحاضر ، تزخر بأنواع التمر .في قوله ﷺ : " أرض ذات نخل " .

١٤٦- قد يقول بعض الناس ، شخص واحد يهتدي لا يكون له ذاك التأثير .أقول :على الداعية أن يبلّغ الناس ، وليس عليه النتائج . الأمر الثاني : ألاّ نحتقر إنسانا أسلم ، وإن كان ضعيف الحال ، ورثّ الثياب ، فقد يكون هو وحده بألف . فأبو ذرّ ﷺ كان ضعيفا ، وفقيرا ، ومع ذلك نفع الله به .

١٤٧- السمع والطاعة من أبي ذرّ للنبي ﷺ ، حيث إنّه طلب منه أن يرجع إلى قومه ، ويأتيه حين يُظْهِره الله ، وجاءه بعد الهجرة إلى المدينة .

١٤٨- بركة دعاء النبي ﷺ لأبي ذرّ ﷺ ، حيث قال له ﷺ : " عسى الله أن ينفعهم اللهُ بك " . فقد انتفعوا بهذه البركة من النبي ﷺ ، وانتفعوا بدعوة أبي ذرّ ﷺ لهم .

١٤٩- إنّ الأجر والمثوبة على الأعمال من الله . في قوله ﷺ : " ويَأْجُرَك فيهم " .

١٥٠- النبي ﷺ يقول : " لأن يهدي الله بك رجلا واحدا ، خير لك من حُمْر النَّعَم "[٣٦] ، فكيف وقد اهتدى على يديّ أبي ذرّ ﷺ قومه كلهم ، وتأثّرت بهم قبيلة أسلم ،

(٣٦) صحيح البخاري ٩٨/١ رقم ٢٩٤٢ ، صحيح مسلم ١٨٧٢/٤ رقم ٢٤٠٦ .

والكلّ اهتدى بفضل الله ثمّ بفضل دعوة الرجل الصالح أبي ذرّ ﷺ ، فهي أجور كثيرة تصبّ في ميزانه ﷺ . فأيّ كرم ، وأي فضل ، حَصَل عليه .

١٥١- الكناية : من كَنَيْتُ الشيء أُكْنيه، إذا سَتَره بغيره، ومنه كُنْيَةُ الشخص، كأبي محمد، وأبي زيد؛ لأنّكَ سترتَ اسمه الأصلي بهذا اللفظ الذي سميتَه كُنْية، وقال بعضهم: أصلها "كنانة" بنونين؛ لأنها من "الكَنّ" وهو السِّتْر. فالكناية: إخفاء المعنى المقصود تحت لفظ لم يوضع له، لمشابهة بين المعنيين، لخوف، أو حياء، أو مبالغة، أو غير ذلك. (٣٧)

فأبوذرّ ﷺ قال للمرأتين : " هَنٌ مثل الخشبة " ، فهو هنا قال لنا :كناية عمّا يُسْتَحْيى منه.أمّا للمرأتين فإنّه صرّح بذكر الكلام القبيح نكاية فيهما ، وسبّا لآلهتهما .

١٥٢- قوله : " كنت هاهنا منذ ثلاثين بين ليلة ويوم " يحتمل أن تكون المدّة في الحقيقة خمسة عشر يوما بلياليها ،ومجموعها ثلاثون ، بين يوم وليلة ، كما تقول : عندي ثلاثون بين ذكر وأنثى ، فهذه الثلاثون فيها خمس عشرة ليلة ، وخمسة عشر يوما . (٣٨)

١٥٣- أفضليّة الإمامة في الصلاة ، فقد كان إمام غفار في الصلاة ، وسيدهم هو الصحابي إيماء بن رحضة الغفاري ﷺ .

١٥٤- فضيلة ومنقبة لقبيلتي غفار وأسلم .

١٥٥- قول النبي ﷺ : " غِفار غفر الله لها " قال ابن الأثير رحمه الله : " يحتمل أن يكون دعاء لها بالمغفرة، أو إخباراً أنّ الله قد غفر لها " . (٣٩)فمراد ابن الأثير رحمه الله أن عبارة الحديث تحتمل هذين المعنيين الدعاء و الإخبار . (٤٠)

١٥٦- قول النبي ﷺ : " غِفار غفر الله لها " قد يكون دعاءً لها أن يسالمها الله ، وفي هذا حثٌّ على مسالمتها وترك حربها ،وقد يكون إخبارا بأن الله قضى مسالمتها في قضائه الذي لا يُرَدّ فلا يُعْتَدَى عليها ولا يُسْتَنفَر ضدها .وجاء الدعاء لهاتين القبيلتين لأنهما لم يشتركا

---

(٣٧) مقال بعنوان : الكناية والتعريض . محمد أبوزيد . موقع معهد آفاق التيسير للتعليم عن بعد .

(٣٨) فتح المنعم شرح صحيح مسلم د.موسى شاهين لاشين ٤٧٠/٩ .

(٣٩) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣٧٤/٣ .

(٤٠) تعليق للأخ " أبو إبراهيم " موقع ملتقى أهل اللغة .

في محاربة رسول الله ﷺ ؛ فأما غِفار فلأنهم دخلوا في الإسلام جملة واحدة مذ سمعوا بالدعوة إليه ، وأما أسلم فلأنهم سالموا النبي ﷺ، ولم يحنثوا في عهدهم حتى مكَّن اللهُ الإسلامَ في قلوبهم .

١٥٧- دعاء الرسول ﷺ للقبيلتين تكريمٌ وتفضيلٌ ، لتحذو القبائل حذو هاتين ، ويَكفّ اللهُ أيديَ المعاندين للإسلام ، فيدخل الناسُ في دين الله أفواجا مذعنين آمنين . (٤١)

١٥٨- نتيجة السبق للإسلام المغفرة ، والمسالمة .

(٤١) تعليق الأخ " منصور مهران " الموقع السابق .

الخاتمـــة

كما كتبتُ في خاتمة الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه ، أقول أيضا في ختام قصة أبي ذرٍّ رضي الله عنه :

وفي نهاية المطاف ، وبعد أن عشنا سوياً مع هذه القصة العظيمة ، ومـــا اســـتنبطناه مـــن دروس وعبر ، واستلهمناه من فوائد وحِكَم ، أجدُ لزاماً عليّ أن أقول : إن على المسلم أن لا يستسلم لليأس ، ولايَقْعُدُ به الخَوَر والضَّعف للبحث عن طريق العزّة والكرامة ، وحريّ بكل من يقول لا إله إلاّ الله ، أن يجعل له في هذه الحياة رسالة يعيش لهـــا ، ويمـــوت مـــن أجلها.

ولقد رأينا كيف أنّ هذا الصحابي الجليل رضي الله عنه ، خرج من وطنه غِفار ؛ باحثاً عن الدين الحقّ ، له هدف واحد ، عاش من أجله ، هَجَر أرضه ، وترك دياره ، وماله ، وعشيرته ، وضحى بكل شيء من أجل الدين الحق ، إنها صورة حيّة وواقعية من أجمل الصور، ولوحة رائعة متحركة تحكي أعظم العبر.

إنّ الذي يعيش في هذه الحياة بلا هدف أو رسالة ، لن يتقدم أبدا ، بل سيظلّ في مكانه ، مهما طال به الزمان ، لا يؤبه له ، ولا يلتفت إليه ، وسيعيش إنسانا عاديا بسيطا .

قد هيّؤوك لأمـــر لو فطنت له ** ** فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	١
قصة إسلام أبي ذرّ رضي الله عنه	٢
من فوائد القصّة	٤
الخاتمـــة	٢٢
فهرس الموضوعات	٢٣